



146216 - الحكمة من خلق الملائكة ، والفرق بين هداية التوفيق وهداية الإرشاد

السؤال

ما الحكمة من خلق الملائكة ؟ هل خلقو لا شيء سوى متعة الخلق أم لاختبار والتمحیص ؟ . وهل عندما خلق الله إبليس كان يعرف نهايته ومستقبله في الأرض ؟ وهل لم يستطع الله خلق إبليس على الهدى الذي أراده له ؟ .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً:

لا يتم إيمان المسلم حتى يثبت لربه تعالى ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات والأفعال ، وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم كذلك ، ومما ثبت لله تعالى من الأسماء "الحكيم" ، ومما ثبت له من الصفات "الحكمة" ، فلم يخلق الله تعالى خلقاً إلا لحكمة ، ولم يشرع شرعاً إلا لحكمة ، وليس بالضرورة أن تصل عقول العباد إلى تلك الحكم دائماً ، بل قد يبين الله تعالى لعباده بعض تلك الحكم ، وقد يستر عنهم بعضهم ، محة لهم ، واختباراً لعبوديتهم وتسليمهم لربهم .

ثانياً:

قدر الله تعالى أن يخلق الملائكة ، ولا شهوة لهم إلى المعصية ، بل هم مصروفون بالكلية إلى طاعة رب العالمين ؛ فليس لهم في الدنيا اختبار ولا ابتلاء ، ولا عليهم في الآخرة حساب ولا جزاء .

قال ابن القيم - رحمه الله - :

فإن الله سبحانه خلق خلقه أطواراً ، فخلق الملائكة عقولاً لا شهوات لها ولا طبيعة تتناقضى منها خلاف ما يراد من مادة نورية لا تقتضي شيئاً من الآثار والطبع المذمومة ، وخلق الحيوانات ذات شهوات لا عقول لها ، وخلق الثقلين الجن والإنس وركب فيهم العقول والشهوات والطبع المختلفة لآثار مختلفة بحسب موادها وصورها وتركيبها ، وهؤلاء هم أهل الامتحان والابتلاء ، وهم المعرضون للثواب والعقاب ، ولو شاء سبحانه لجعل خلقه على طبيعة خلق واحد ولم يفأوت بينهم ، لكن ما فعله سبحانه هو محض الحكمة ، ومحظ الربوبية ، ومقتضى الإلهية .

"طريق الهجرتين" (ص 203) .

ثالثاً:

الملائكة الكرام خلق من خلق الله تعالى ، عباد مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، يكلفهم ربهم تعالى



بما يشاء ، وإذا علمت تلك الوظائف والأعمال التي يقوم بها أولئك الخلق الكرام فهي الحكمة من خلقهم ، ومجمل هذه الأعمال والوظائف ثلاثة :

الأولى : عبادة الله تعالى ، وتمجيده ، وتعظيمه ، وتسبيحه .

قال تعالى : (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ) الأنبياء/ 20 ، وقال تعالى - على لسان الملائكة الكرام - : (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ . وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) الصافات/ 165 ، 166 .

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ ، أَطَّلَّ السَّمَاءُ وَحُقُّ لَهَا أَنْ تَتَطَّلَّ ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعُ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضْعُ جَبَهَتُهُ سَاجِدًا لِلَّهِ) .

رواه الترمذى (2312) وابن ماجه (4190) ، وحسنه الألبانى فى " صحيح الترمذى " .
وانظر شرح الحديث فى جواب السؤال رقم (131516) .

الثانية : القيام بأمر خلق الله تعالى وملكته تعالى بإذن ربهم وتكليفه .

فمن الملائكة مكلفوون بحمل العرش وعددهم ثمانية ، ومنهم مكلفوون بتبلیغ الوحي ، ومنهم خزنة الجنة ، ومنهم خزنة النار ،
ومنهم ملائكة الأرزاق ، وهكذا في سلسلة أعمال جليلة كلفهم بها الرب سبحانه وتعالى .

الثالثة : القيام بأمر بنى آدم بإذن ربهم وتكليفه .

فمن الملائكة من يحرس بنى آدم ، ومنهم من يسجل أعمال بنى آدم ، ومنهم مكلفوون بقبض الأرواح ، ومنهم المكلف بسؤال
الميت في قبره ، والمستغفر للمؤمنين ، وهكذا في سلسلة أعمال جليلة تتعلق بابن آدم .

وانظر جواب السؤال رقم (14610) ، ويمكن أن يراجع تفاصيل ما يتعلق بالملائكة في كتاب " عالم الملائكة الأبرار " للشيخ
الدكتور عمر سليمان الأشقر ، حفظه الله ، وهو كتاب مهم جامع في بابه .

رابعاً :

وأما قوله " وهل عندما خلق الله إبليس كان يعرف نهايته ومستقبله في الأرض ؟ " ؛ فاعلم - أولاً - أنه لا يصح إسلام العبد إلا
أن يؤمن أن الله تعالى يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ؟ وأن من تشكيك في شيء من ذلك : فهو كافر
بالله العظيم .

ألاست تقرأ قول الله تعالى (عَالِمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِنْ قَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْنَعُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبُرُ إِلَّا فِي
كِتَابٍ مُبِينٍ) سبا/ 3 ، قوله تعالى (لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) الطلاق/ 12 ،
وقوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) المجادلة/ 7 ، قوله (هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) الحديد/ 3 ؟ ! فأين أنت عن هذه الآيات ومئات مثلها ، ومئات من الأحاديث ؟ ! .

خامساً :



أما قولك " وهل لم يستطع الله خلق إبليس على الهدى الذي أراده له ؟ " : فهذا أيضاً منك عجيب ، فإن كنتَ مسلماً فكيف آمنتَ برب عاجز ؟ وكيف آمنت - إذاً - بربِ خلق الملائكة عباداً طائعين فكان ما أراد الله تعالى منهم ؟ .

وقد ذكرنا لك في أول الجواب كيف اختلف خلق إبليس وآدم عن خلق الملائكة ؛ بل هذا - أيها السائل - مما يرشدك إلى تمام قدرة الله جل جلاله ، وعظيم ملكه ؛ فقد خلق من خلقه من لا يعصيه طرفة عين ، بل هو طائع له أبداً ، وهم الملائكة ، وخلق من لا يطيع أمره أبداً ، بل هو عاص لـ ، كافر به ، معاند لأمره ؛ وهم الشياطين ؛ وخلق من جمع بين الوصفين : الإيمان والكفر ، والطاعة والمعصية ، وهم بنو آدم . والكل خلق الله ، لو شاء لجعلهم على ملة واحدة ، وخلقة واحدة ، ودين واحد ، لكن حكمته وقدرتها اقتضت ذلك ، وهو المحمود على كل فعله ، وكل قوله ، وكل خلقه سبحانه : (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) الأنبياء/23 .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله :

" وَهُوَ سُبْحَانَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ، وَلَهُ فِيمَا خَلَقَهُ حِكْمَةٌ بَالغَةٌ، وَنِعْمَةٌ سَابِغَةٌ، وَرَحْمَةٌ عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ؛ وَهُوَ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ، لَا لِمُجَرَّدِ قُدْرَتِهِ وَقَهْرِهِ؛ بَلْ لِكَمَالِ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَرَحْمَتِهِ وَحِكْمَتِهِ " انتهى من "مجموع الفتاوى" . (8/79)

سادساً:

اعلم أن كل من ضلَّ عن سوء السبيل فقد جاءه الهدى ، لكنه هو الذي أباه واستكبر عن اتباعه ، فهداية الدلالة والإرشاد قد وصلتهم ، وأقام بها الله تعالى الحجة عليهم ، لكنهم أبوا الانقياد لها واتبعها ، فحصل منهم الضلال ، فعمت هدايته وبيانه للخلق ، وقامت عليهم حجيته سبحانه ، كما قال سبحانه : (قُلْ فَلَلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَى كُمْ أَجْمَعِينَ) الأنعام/149 .

قال ابن القيم رحمة الله :

" فأخبر سبحانه أن الحجة له عليهم برسله وكتبه ، وبيان ما ينفعهم ويضرهم ، وتمكنهم من الإيمان بمعرفة أوامره ونواهيه ، وأعطاهم الأسماء والأبصار والعقول ، فثبتت حجته البالغة عليهم بذلك ، واضمحللت حجتهم الباطلة عليه بمشيئته وقضاءه ، ثم قرر تمام الحجة بقوله : (فَلَوْ شَاءَ لَهَدَى كُمْ أَجْمَعِينَ) ؛ فإن هذا يتضمن أنه المتفرد بالريوبوبيه والملك والتصرف في خلقه ، وأنه لا رب غيره ، ولا إله سواه ؛ فكيف يعبدون معه إلها غيره ؟ ! فإثبات القدر والمشيئة من تمام حجته البالغة عليهم ، وأن الأمر كله لله ، وأن كل شيء ما خلا الله باطل ؛ فالقضاء والقدر والمشيئة النافذة من أعظم أدلة التوحيد ، فجعلها الظالمون الجاحدون حجة لهم على الشرك ، فكانت حجة الله هي البالغة ، وحجتهم هي الداحضة وبالله التوفيق " انتهى . "شفاء العليل" (35) .

ونوصيك أيها السائل بطلب العلم الشرعي ، ومعرفة ما ينفعك في دينك وقربك من ربك عز وجل ، وابذل وقتك في حفظ القرآن وأكثر من النظر في أحاديث نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، واطلع على تراجم سلف هذه الأمة وعلمائها ، وسترى - بإذن الله - خيراً كثيراً ، فساعات العمر أنفس من أن نضيعها فيما لا نفع فيه ، والعمر محدود أن نفرط فيه فيما قد يضرنا يوم نلقى ربنا تعالى .



وأعظم ما نوصيك أن تكثر مع ذلك كله من ذكر الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار ، وأن تجتهد في طاعته ، فإن الشيطان وسوس خناس ، إذا ذكرت الله خنس ، وضعف عنك ، وإذا غفلت عن ذكره برز إليك ، وشغلك بالوساوس والخدرات .
والله أعلم .